



الدرس التاسع: احتلال تونس وانتصاب الحماية الفرنسية (1881م)
المادة: تاريخ وجغرافيا | الوحدة: التاريخ (الدرس 9) | المستوى: السنة السادسة ابتدائي (برنامج تونس)

□ أهداف الدرس التعليمية والتاريخية:

- تعرّف ظروف التنافس الاستعماري الأوروبي والدوافع الفرنسية لاحتلال تونس سنة 1881م.
- تحليل مسار الحملة العسكرية الفرنسية وتداعي اتخاذ مناوشات الحدود كذريعة للاجتياح.
- دراسة شروط معاهدة باردو (12 ماي 1881م) وأبعادها في سلب السيادة الوطنية وتأسيس نظام الحماية.

• تقدير بطولات المقاومة الشعبية والقبائلية التونسية بالوسط والجنوب والشمال الغربي ضد الغزو الاستعماري.

1. ظروف التنافس الاستعماري والدوافع الفرنسية لاحتلال تونس (1881م)

شهدت أواخر القرن التاسع عشر اشتداداً غير مسبوق في التنافس الاستعماري بين القوى الأوروبية (فرنسا، إيطاليا، وبريطانيا) للهيمنة على الموقع الجيوستراتيجي الممتاز للإيالة التونسية وثرواتها الطبيعية. وقد حُسم هذا التنافس لصالح فرنسا خلال «مؤتمر برلين» سنة 1878م، حيث حصلت فرنسا على ضوء أخضر وضمائن سرية من بريطانيا وألمانيا بالتصرف في تونس مقابل إطلاق يد بريطانيا في قبرص ومصر.

ولإيجاد ذريعة مباشرة ومكشوفة للتدخل العسكري المباشر دون إثارة احتجاجات دولية، استغلت سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر وقوع مناوشات واشتباكات حديدية محدودة بين قبائل «خمير» التونسية وقبائل جزائرية خاضعة لفرنسا في مارس وأفريل 1881م. فانتخذت فرنسا من هذه الأحداث الحدودية الحجة والذريعة الرسمية لشن غزو عسكري بري وبحري واسع النطاق على البلاد التونسية.



شكل 1: الحملة العسكرية الفرنسية واجتياح الشمال الغربي التونسي (أفريل 1881م)

2. مسار الحملة العسكرية وتوقيع معاهدة باردو (12 ماي 1881م)

انطلقت الحملة العسكرية الفرنسية في أفريل 1881م عبر محورين رئيسيين: تقدمت القوات البرية عبر جبال خمير وعين دراهم والكاف، بينما نزلت القوات البحرية بميناء طبرقة وبنزرت. وأمام الفارق الكبير في التجهيز والعدد وضعف إمكانات الجيش البيلي النظامي، تمكنت القوات الاستعمارية من التقدم العسكري السريع وزحفت نحو العاصمة تونس.

وفي 12 ماي 1881م، حاصرت الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال «بريار» (General Bréard) قصر قصر السعيد بباردو، وفرضت على محمد الصادق باي توقيع وثيقة «معاهدة باردو» (Treaty of Bardo). ونصت هذه المعاهدة الجائرة على حرمان تونس من سيادتها الخارجية وإسناد إدارة الشؤون المالية والعسكرية والأمنية لفرنسا، وتعيين مقيم عام فرنسي بتونس، وتعهد الباي بعدم إبرام أي معاهدة دولية إلا بموافقة فرنسا.



توقيع معاهدة باردو في 12 ماي 1881م وانتصاب الحماية الفرنسية

Gemini Notebook

شكل 2: توقيع معاهدة باردو في 12 ماي 1881م بقصر قصر السعيد وإنشاء الحماية الفرنسية

3. اندلاع المقاومة الشعبية والقبائلية التونسية ضد الاحتلال (1881م)

رفض الشعب التونسي وقبائله الوطنية خضوع الباي لمعاهدة باردو والاستسلام للغزاة؛ فاندلعت انتفاضة شعبية وقبلية عارمة شملت أغلب جهات البلاد بتنسيق بين القبائل في الوسط والجنوب والساحل والشمال الغربي (مثل قبائل زلاس، همامة، مثاليث، نفات، ورغمة).

وقاد المقاومون التونسيون معارك جبارة وباسلة ضد القوات الفرنسية، وخاصة في معركة صفاقس الخالدة (يوليو 1881م) وقابس والقيروان ومناطق الجنوب والوسط. ورغم الاستبسال والشجاعة الفائقة للأهالي، إلا أن التفوق العسكري والمدفعي الحاد للجيش الاستعماري والاستعانة بالتعزيزات البحرية أدى إلى إخضاع المدن التونسية بالقوة العسكرية الغاشمة وثبتت نظام الحماية الفرنسية الذي تعمق لاحقاً باتفاقية المرسى سنة 1883م.



شكل 3: المقاومة الشعبية والقبائلية التونسية الباسلة ضد القوات الاستعمارية سنة 1881م

4. جدول ملخص لأهم محطات احتلال تونس وتأسيس الحماية (1881م)

النتائج والأبعاد الوطنية

التاريخ والظروف

المرحلة والحدث

التنافس الاستعماري وذريعة خمير	مؤتمر برلين (1878م) - أحداث الحدود (مارس/أفريل 1881م)	التواطؤ الأوروبي وافتعال الذريعة لشن الاجتياح العسكري البري والبحري.
معاهدة باردو وانتصاب الحماية	12 ماي 1881م (قصر قصر السعيد بباردو)	فرض الحماية الفرنسية، تجريد تونس من سيادتها الخارجية والمالية والعسكرية.
المقاومة الشعبية والقبلية	صيف وخريف 1881م (صفاقس، قابس، القيروان، والجنوب)	انتفاضة شاملة للقبائل ضد الغزو الاستعماري وسقوط الشهداء في سبيل الوطن.

5. تمارين تقييمية ومبتكرة (مع إجابات تفاعلية)

□ التمرين الأول: ربط الأحداث بالتأريخ الصحيح

صل بخط كل حدث بتاريخه ومضمونه التاريخي:

- 1. مؤتمر برلين ◀ (أ. 1878م - الاتفاق السري الأوروبي لمنح فرنسا الضوء الأخضر باحتلال تونس)
- 2. معاهدة باردو ◀ (ب. 12 ماي 1881م - توقيع وثيقة الحماية وسلب السيادة الوطنية والخارجية)
- 3. معركة صفاقس ◀ (ج. يوليو 1881م - صمود المقاومة الشعبية والقبائلية ضد الأسطول الفرنسي)

□ الإجابة والتعليل الصحيح:

(1 ◀ أ)، (2 ◀ ب)، (3 ◀ ج). وتبرز هذه المحطات التواطؤ الاستعماري وسلب السيادة وصمود الشعب التونسي.

□ التمرين الثاني: وضعية تقييمية وتحليل نقد تاريخي

نص الوضعية: ادعى أحد المؤرخين أن «احتلال فرنسا لتونس سنة 1881م كان نزهة عسكرية سهلة ولم يواجه أي رفض أو مقاومة من الشعب التونسي». ناقش هذا الرأي وبيّن خطأه تاريخياً.

□ الإجابة والتحليل التاريخي:

هذا الادعاء خاطئ وتزييف للحقيقة؛ إذ خاض الشعب التونسي وقبائله الوطنية بالوسط والجنوب والشمال الغربي (مثل صفاقس وقابس والقيروان) معارك مستميتة وبأسلة ضد الغزو الفرنسي وسقط مئات الشهداء، ولم يتمكن الاحتلال من السيطرة إلا باستدعاء أساطيل وتعزيزات عسكرية ضخمة.

6. أسئلة شائعة حول الدرس (SEO FAQ)

س: ما هي الذريعة المباشرة التي اتخذتها فرنسا لاحتلال تونس سنة 1881م؟
ج: الذريعة المباشرة هي وقوع مناوشات حدودية بين قبائل خمير التونسية وقبائل جزائرية خاضعة للاستعمار الفرنسي في مارس وأفريل 1881م.

س: متى وأين تم توقيع معاهدة باردو ومن وقعها؟
ج: تم توقيعها في **12 ماي 1881م** بقصر قصر السعيد بباردو بين محمد الصادق باي والجنرال الفرنسي «بريار».

س: ما هي أبرز الشروط والمساوئ السياسية لمعاهدة باردو؟
ج: حرمان تونس من سيادتها الخارجية والمالية والعسكرية، وتعيين مقيم عام فرنسي، وإشراف فرنسا على الأمن والحدود.

7. خلاصة الدرس المركزة

شكل عام 1881م منعرجاً مأساوياً في تاريخ تونس المعاصر بسقوط البلاد تحت نير الحماية الفرنسية إثر معاهدة باردو المذلة، إلا أن الملحمة الوطنية والتضحيات الجسام التي قدمتها المقاومة الشعبية والقبائلية التونسية ظلت المشعل الذي غذى روح النضال الوطني التونسي حتى افتكاك الاستقلال التام سنة 1956م.